حرب الغواصات

من مقالة لمكاتب المقطم الحربي

نشرت جريدة «التيمس» في ٢١ دسمبر الماضي رسمين اعدتهما وزارة البحرية البريطانية واعطتهما للصحف وها يبينان سير حرب الغواصات و يظهران حقيقة الحال بنظرة واحدة ونحن ننشرهما في الشكلين المقابلين لفائدة القراء . وهذان الشكلان دقيقان جداً في دلالتهما الاحصائية لانهما مبنيان على الحقائق الثابتة الى ١٧ دسمبر الماضي ولا يتضمنان شيئاً من الارقام المبنية على التقدير والتخمين علاوة على انهما مرسومان رسماً مضبوطاً على ادق قياس ولكن القياس ليس واحداً فيهما كليهما كما يتضح للناظر اليهما . الاول منهما يدل على ما اغرقهُ العدو من السفن التجارية التي للبريطانيين والحلفاء والمحايدين في سنة ١٩١٧ . والثاني يدل على عدد الغواصات التي أُغرقت في هذه المدة . فقد ابتدأت حرب الغواصات المطلقة من كل قيد في اول فبراير في العام الماضي و بلغت اوج فوزها في شهر ابريل وهذا يعلل صعود فعلها في الربع الثاني من سنة ١٩١٧ الذي ينتهي في ٣٠ يونيو الى اعلى نقطة في الرسم كما ترى بين الرقمين ٤ و ٤ . ومن ثم يبتدىء الهبوط بانحدار اشد منهُ في الصعود . ومع ان الخسارة في الاسبوعين الاخيرين من شهر دسمبر الماضي غير داخلة في الرسم فان الخسارة في الربع الاخير من العام الماضي — عدا الاسبوعين المذكورين — لم تزد كثيراً عما بلغتهُ في الربع الاخير من عام ١٩١٦ اي قبل ان تبدأ حرب الغواصات المطلقة من كل قيد (ويتضح ذلك من الشرح الذي الحقنا به الشكل الاول)

وسائل الدفاع الناجعة

واذا استثنينا ازدياد عدد ما يدمر من الغواصات الذي سنبحث فيهِ فيما بعد فان العوامل التي ادت الى هذا النقص الغريب في خسارة البواخر كثيرة مختلفة . ونحن نذكر منها ثلاثة فقط وهي تسيير البواخر في قوافل تحميها السفن الحربية . واستعمال حجب الدخان . وازدياد عدد البواخر التي تخرج من هجوم الغواصات . وقد علمنا من اقوال رسمية قيلت في مجلس النواب انهُ خفر الى بريطانيا العظمى من منتصف العام الماضي لما انشئ نظام خفارة البواخر الى ١٩ يناير ما حمولتهُ اربعة عشر مليون طن وتقريبهُ عشرون مليون طن

من البواخر من غير ان يغرق منها سوى ما حمولته ١٫٤٤ في المئة وتقريبه ١٫٥٧ . وهذه النسبة تشمل البواخر التي اغرقت من جراء خروجها من صف القوافل المحشورة بسبب رداءة الاحوال الجوية

وقد كانت حجب الدخان ذريعة ناجعة جدًّا في احباط هجوم الغواصات . ومن الاساليب المألوفة في الحروب البحرية ان المدمرات ترافق البوارج والطرادات المهددة بالخطر وتسير الى جانبها في الجهة التي تهب منها الريح وتخفيها بما تخرجه من مداخنها من حجب الدخان الاسود الكثيف . وقد وسع نطاق هذا الاسلوب لحماية البواخر التجارية التي تجتاز المناطق الخطرة بحجبها عن الانظار بسحب من الضباب الصناعي . ولذلك زاد عدد البواخر التي تنجو من هجوم الغواصات زيادة مطردة . فان نسبة البواخر التي هاجمتها الغواصات ونجت من شرها في الاسبوعين اللذين آخرهما ٢٢ دسمبر الماضي بلغت ضعفي هذه النسبة في شهر اكتوبر الماضي كله . وقد ادعى الالمان ان تكبير حجم غواصاتهم الجديدة ومداها يجعل تسليح البواخر التجارية بلا فائدة ولكن عدد البواخر التي نجت من شر الغواصات التي هاجمتها يدل على ان عواقب مهاجمة الغواصات ليست كما كانت في اوائل العام الماضي

ازدياد عدد ما يغرق من الغواصات

والشكل الثاني يدل على عدد الغواصات التي اغرقت وهو يبعث على الارتياح ايضًا . ويظهر منه ان عدد الغواصات التي اغرقت ازداد ازديادًا مطردًا منذ اول العام الماضي . اما عدم ظهور الزيادة في الربع الاخير على الربع الذي قبله في الرسم فلان الرسم أعد قبل انقضاء شهر دسمبر الماضي باسبوعين وبع ذلك فقد اغرق من الغواصات في الشهرين ونصف الشهر التي انتهت في ١٧ دسمبر الماضي قدر ما اغرق منها في الاشهر الثلاثة التي انتهت في ٣٠ سبتمبر الماضي . وهذه الاحصاءات عن الغواصات التي اغرقت في العام الماضي لا تتضمن الا ما ثبت تدميره منها بلا ريب ولا شك ولكننا نعتقد ان عدد الغواصات التي اغرقت من جراء اسباب اخرى مثل اصطدامها بالالغام المبثوثة بجوار قواعدها والتي لا يمكننا معرفة عددها بالضبط زاد على النسبة عينها ايضًا

بناء البواخر وزيادة الطعام

وهذان الرسمان دليلان كافيان على هبوط حرب الغواصات ولكن لهذا الفشل عاملًا او عاملين آخرين نشير اليهما بالايجاز . لقد قابل الحلفاء تحدي الغواصات بالتشمير عن ساعد

الجد في بناء البواخر على متوال عظيم فبنت بريطانيا العظمى من البواخر في العام الماضي اكثر مما بنته في السنة التي بنت فيها اكبر عدد من البواخر في زمن السلم . وتم صنع اول باخرة من البواخر المتماثلة التي شرع في بنائها في اول العام الماضي وضمت الى البواخر العاملة في شهر اغسطس . وهذه البواخر لا تراعى فيها سرعة البناء فقط بل السرعة في شحنها وتفريغها . وقد حصل اقتصاد عظيم في الملاحة بتنظيمها واسفر ذلك عن ان الواردات الى بريطانيا العظمى في العام الماضي لم تنقص سوى ستة في المائة عن مثلها في العام السابق

هذا ما يقال عن نتيجة الحصر البحري بالغواصات اما النقص البالغ ٦ في المائة من الواردات فقد وقر اكبر منهُ بما اقتصد في المقطوعية وزيد في الانتاج ولا سيما في الطعام والمعادن . فقد زيدت مساحة الاراضي المزروعة في بريطانيا العظمى مليون فدان في سنة ١٩١٧ عما كانت في السنة السابقة وستغني بريطانيا العظمى في السنة الحالية عن الواردات في اهم موارد الطعام . واننا نضرب مثالاً واحداً على الاستعداد لزيادة مساحة الاراضي المزروعة هذه السنة وهو انهم اعدوا للربيع ثمانية آلاف محراث بخاري . و بريطانيا العظمى هي الدولة الوحيدة المحاربة التي زادت في ايام الحرب ما كانت تنتجهُ من الطعام فقد زاد هذا المنتج في السنة الماضية اكثر من مليون طن وفي النية زيادتهُ هذه السنة ثلاثة ملايين طن . ومما يجدر بنا ذكرهُ في الكلام على مسألة النقل بالبحر ان بريطانيا العظمى لم تبلغ الحد الاقصى من الاقتصاد في المقطوعية او من الزيادة في الانتاج فحالتها تختلف تمام الاختلاف عن حالة الدولتين الجرمانيتين اللتين حصرتا حصراً بحرياً من اليوم الاول من ايام الحرب

ثلاثة اشهر

و يحسن بنا هنا ان نقابل النتائج الحقيقية التي نتجت من حرب الغواصات بعد اطلاقها من كل قيد بما كانوا يتبجحون بهِ في المانيا منذ عام ولا نقتصر على ما قالهُ الموسومون كالاميرال تربتز بل نذكر اقوال ساسة عقلاء كالدكتور صولف وزير المستعمرات الالمانية والدكتور زمرمان الذي كان وزيراً للخارجية حينئذٍ وكلاهما يعد من المعتدلين . فقد قال الدكتور صولف للسفير الاميركي ان ثلاثة اشهر من حرب الغواصات المطلقة من القيود تكفي لاذلال بريطانيا العظمى وانهاء الحرب . وقال الدكتور زمرمان للسفير جرارد يوم ٣١ يناير سنة ١٩١٧ وهو بسطة المذكرة التي اعلن بها حرب الغواصات المطلقة من كل قيد عند نصف الليل : « امهلونا شهرين نحارب فيهما حرباً كهذه تنهي الحرب وتعقد الصلح في اثناء ثلاثة اشهر » . اما اليوم فتربتز نفسهُ لا يتجاسر على ان يقول مثل هذه الاقوال